(طريق السعادة في الإسلام)

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة نحيا عليها ونموت ونبعث يوم القيامة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، رحمة الله للعالمين، وحجته على العباد أجمعين، اللهم صل عليه في الأولين والآخرين:

أما بعد.....

فإن زوال الهموم، وراحة البال، مطلب كل إنسان في هذه الحياة، فهي السعادة المطلوبة والغاية المرغوبة، لكن لا يمكن أن يسعد الإنسان ويرتاح وهو فاقد لنعمة الإسلام، ونعمة الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [سورة الأنعام :82]. وقال تعالى: (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [النحل: 97]. وفي الحياة الطيبة أقوال: أنه الرزق الحلال ; وقيل: القناعة ; وقيل: توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله ; وقيل : هي الجنة، قال الحسن: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة. وقيل: هي السعادة. (تفسير القرطبي).

أما أهل الشقاوة فهم أهل الغفلة عن الله تعالى، المعرضين عن ذكر الله، قال تعالى: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) [طه: 124].

ورغم أن الإنسان مأمور بالسعي على تحصيل السعادة وطلبها؛ فإن الله تعالى قد كتب الحسنات والسيئات ، وعلم أهل السعادة والشقاوة قبل أن يولد الإنسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليه ملَكا، ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ له: اكتبْ عملَه، ورزقَه، وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ؛ ثم يُنفخُ فيه الروح**) (أخرجه الشيخان). ولا بد أن نقف مع بعض أسباب السعادة للعبد:

أولا: التزام العبد بالطاعات: فالمداومة على الطَّاعة والفرائض والصلاة تَقود إلى حسن الخاتمة؛ لأن مَن مات على شيء بُعث عليه، ومَن داوم على الطاعة اطمأنَّ إليها؛ كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: 28]، وهؤلاء هم أصحاب النُّفوس المطمئنَّة التي تُنادى عند الموت: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: 27 – 30].

ثانيا: الرضا بالقضاء والقدر: فإن من سعادة العبد أن يسلم للمقدور. قال ابن القيم: الرضا بالمقدور من سعادة ابن آدم، كما في المسند والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله)**، فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: **(يا غلام، إنِّي أُعلمك كلمات: احفظ الله يحفَظك، احفظ الله تجِدْه تُجاهك، إذا سألتَ فاسأَل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أَن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يَضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف)**؛ رواه الترمذي.

ثالثا: فعل الخير والإحسان إلى الآخرين: قال أبو علي الحسن بن علي الجوزقاني: من علامات سعادة العبد بذل معروفه للخلق. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الإحسان سبب الفوز ونيل السعادة. فمدار السَّعادة نَفْعُ النَّاس، وكَشْف كُروبِهم؛ لِيُعيننا الله بذلك فيما سوف نَلْقى في أهوال يوم القيامة – أعاننا الله عليه– فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مؤمنا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)** رواه مسلم.

رابعا: استغلال الوقت فيما ينفع: قال أبو علي الحسن الجوزقاني: (من علامات سعادة العبد: مراعاته لأوقاته)، فالوقت أثمن نعمة وهبها الله للإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(نِعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفراغُ)** (البخاري)، والبركة في العمر بطوله وحُسن العمل فيه مِن سعادة المؤمن؛ فعن نُفَيْع بن حارث الثقفي رضي الله تعالى عنه، قال: **"إنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: (مَن طالَ عمُرهُ، وحسُن عملُه)، قال: فأيُّ الناسِ شر؟ قال:(مَن طال عمُرهُ، وساء عملُه)**؛ (الترمذي). والمرء مسؤول عن وقته بين يدي الله يوم القيامة، كما في الحديث: **(لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه)** (الترمذي)، قال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله، والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأسباب السعادة، وأن يجعلنا ممن قال الله فيهم: **(وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ**

رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) [هود: 108]. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: فضيلة الشيخ/ **عمرو يوسف الجندي** – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.